فهل من حاجة الى القول بأن تمييز مجتمع على آخر ينفي بالضرورة المساواة مع الآخرين فيلحق بهم الغبن والاجحاف على الفور؟ ثم، ألم يفكر أركان الجبهة، وهم يتحدثون عن المسيحية ونصرتها بغيرهم من مسيحيّي المنطقة المحيطة بنا، وما يمكن أن يلحق بهؤلاء إذا ما عاملهم الغير من موقع «**احتلالهم مركزا خاصا**» في تلك البلاد؛ وذلك اعتمادا على نفس المنطق الذي تتبناه الجبهة؟ ولماذا تخص الجبهة حرية المسيحية وحدها بأنها «**لا تتوقف على أي اعتبار ديموغرافي أو أي اتجاه سياسي**» ولا تكون حرية الجميع على المستوى نفسه؟

ان مغالاة الجبهة اللبنانية في انتقاء صفة المواطنية أو الرابطة القومية لم تصل بها الى مجرد التركيز على الناحية الدينية بل تجاوزت ذلك الى مستوى تفتيتي أبشع: اذ تقول في وثيقتها أنها «**ترى أن لبنان ليس ملتقى دينين كبيرين يتساكنان مرغمين ويتحايلان على حياة التعايش المعرض دائماً للانهيار بما يغذيه كل منهما من رغبة في التسلط والتحكم، بل اتحاد وداد وتعاون بين ست عشرة طائفة من الاقليات.. الخ**». غريب أمر الفكر في الجبهة، فهي تفتت وقتما يحلو لها وتجمع وقتما تريد. اذ في فقرة سابقة لهذا الكلام تؤكد الجبهة أنها «**لا تفهم بالمسيحية الموارنة فحسب بل سائر الطوائف المسيحية...**». انها تفرض نفسها للتحدث باسم المسيحيين كوحدة واحدة، ثم تعرضها علينا طوائف متعددة... فأين هي جادة وأين هي غير ذلك؟ ان حيرة الجبهة، في منطقها وشعورها بعدم شمولية تمثيلها حتى للطائفة المارونية، هو الذي حدا بها لتثبيت فقرة كاملة تحاول من خلالها، وباسلوب التمنيات، ان تتجاوز مشكلتها مع أحد أقطاب الطائفة المذكورة وهو **سليمان فرنجية**. والكل يعرف موقف الأخير من الجبهة فكرا وسياسة وتنظيما.

ان ردنا على هذا البند كله يتلخص في مطلب واحد هو الحل وهو المخرج.

انها الديمقراطية الحقيقية. فنحن في هذه المنطقة، رغم تخلفنا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، مهما ادعى المكابرون، لنا في التاريخ جذور عميقة يوم كانت بلادنا مهد الحضارة ومنارة الدنيا. وان كان يرى البعض أننا ننعم بحضارتين اسلامية ومسيحية فقط، فهم مخطئون. هذا هو فهمنا للتراث الذي ادعت الجبهة التكلم باسمه. ان تراثنا يثبت أننا ننعم بما هو أشمل من النصرانية والاسلام، ولعل هذا هو السر في ان كل أديان السماء نبعت من هذه الديار. كما ان بلادنا، بحكم موقعها، كانت ولا تزال، محطة التقت وتلتقي فيها كل الثقافات والحضارات. منها ما هضمناه وأصبح طابعنا عليه، ومنها ما نتفاعل معه رفضا وقبولا. ولكي نستعيد دورنا ونحقق طموحاتنا في التقدم والاستقرار لا مناص لنا عن الديمقراطية والحرية. فلا يصادر رأي ولا يحجر على فكر ولا يرجم انسان من أجل فكرة.

وعلينا أن نتعظ من تجارب الأمسين البعيد والقريب، ان ما يفرض بالقوة فانما هو باق بقاء هذه القوة. فاذا زالت زال ما فرضته. كما أن علينا أن نحذر من أن التلاعب على الألفاظ ليس هو البديل عن المعاني العلمية الصحيحة.

واذا كانت الجبهة فعلا تريد «**أن يتميز لبنان تميزاً واضحاً عن غيره من بلدان الشرق الأوسط، بأن مشكلة الاقليات فيه حلت حلا نهائياً**» عليها عندئذ أن تسعى لخلق